

البعد الرمزي في الشعر العربي المعاصر:

قصيدة الجدارية لمحمود درويش أنموذجا

The Symbolic Dimension in Contemporary Arabic Poetry: "Al-Djidariya" by Mahmoud Darwish as a Model

فوزية بلعابد¹، محمد مرتاض²

¹ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، fouzia.belabed@univ-tlemcen.dz

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي جامعة تلمسان

² جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، cmortad2002@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/10/06

تاريخ الاستلام: 2025//09/01

ملخص:

تهدف الدراسة إلى كشف فنية الرمز في القصيدة العربية لما له من طاقة في تكثيف الدلالة وغموضها، وفتح مجال الاستكشاف والتأويل. وقد اخترنا قصيدة "الجدارية" لمحمود درويش للتحليل وفق وظائف اللغة المعروفة؛ وذلك لأنها ذات شحنة رمزية عالية، وبعد فني ثوري.

من خلال تحليل نماذج من القصيدة، خلصت الدراسة إلى أن مضامين "الجدارية" تأسست على شعرية الرمز ومجموع الوظائف التي يؤديها من نداء وتأثير، وتأويل، وأن علاقة درويش بالقصيدة، هي علاقة انتماء وأرض ومقاومة. كلمات مفتاحية: الشعر العربي المعاصر، الرمز، الجدارية، محمود درويش.

Abstract:

This study aimed to reveal the artistry of symbolism in Arabic poetry, due to its capacity to intensify meaning and ambiguity, and to open up space for exploration and interpretation. We selected Mahmoud Darwish's poem "Al-Djidariya" for analysis based on the common functions of language, as it possesses strong symbolic value and a revolutionary artistic dimension. Through analysing models from the poem, the study concluded that the contents of "Al-Djidariya" are established in the poetics of symbolism and the set of functions it performs, such as invocation, impact, and interpretation. In addition, Darwish's relationship with the poem is one of belonging, homeland, and resistance.

Keywords: Contemporary poem, symbolism, Al-Djidariya, Mahmoud Darwish.

✳ المؤلف المرسل

1. مقدمة:

اتَّخذ الرَّمز دوره الوظيفي الفَعَّال وبُعده الجمالي في احتضان تجربة الشاعر المعيشة ورؤاه وتطلَّعاته، وهو يأتي تركيبياً ضمن سياق يربطه برموز المكان وعناصر الطبيعة. وغالبا ما يكون التكرار والتوكيد والاعتماد على الشَّحنة العاطفية والصَّورة الشعريّة المعبّرة من العوامل التي تُمكِّن الرَّمز من ترسيخ الفكرة المحوريّة في القصيدة.

إنَّ الظَّفَر بالدَّفَق الدلالي الذي يمرّره الشاعر الرامز عبر الصورة الشعرية يبدو مهيبا نوعا ما، وذلك لأن نمطيّته تقع تحت أفق غامض؛ حيث يلتقط الشاعر الفكرة من أثيرها الأول، ثم يجدلّها في قصيدته كوجود جديد له دلالته، والتي من شأنها أن تفجّر تأويلات متعددة من لدن المتلقي.

وبما أننا نروم هذه القراءة، فالأجدى أن نطرق فيها بعض المناحي التي يتوجّه إليها الرَّمز ضمنيا، والتي تحوّل النّصّ إلى جهاز لإنتاج دلالات مفتوحة يقع على عاتق القارئ أن يتفاعل معها ولا يحيد عن الدلالة الحقيقية فيها. إنّ غاية هذه الدّراسة هي استقصاء الظاهرة الفنّية للرمز في المتن الشعري العربي المعاصر. وذلك لمعرفة ماذا يقصد الشاعر من وراء هذا الرمز؟ وهل تحميل العنوان هذا الكم من الدلالات يظلّ مجرد رمزية جمالية يموت فيها المعنى الحقيقي وينكسر معها توقع المتلقي؟ هذا ما نسعى إلى معرفته من خلال دراستنا. ومنه كان لزاما أن نسلك منهج التحليل السيميائي في وصف بعض الظواهر الرّمزية ورصد معانيها، وتحليلها للوقوف على مكامن الجمالية فيها من خلال قصيدة الجدارية لمحمود درويش.

2. الرَّمز في الخطاب الشعري:

1.2. حضور الرمز في الخطاب الشعري المعاصر:

لا شك أنّ الخطاب الشعري في أبعاده الجمالية العامة وفي تمظهرات أشكاله، يضمن الأنساق الإدراكية وقيمتها الجمالية؛ ذلك أنّ "الشعر تصوير ناطق، والتصوير شعر صامت"¹. هنا يشترك الشعر مع التصوير في جانب التشكيل والفنية والجمال، وهو ما يستدعي جانب الرمز على اختلاف أنماطه.

ولربما محاولة البحث عن حقيقة التشكيلة الرمزية من الناحية الجمالية، قد تتيح لنا استكشاف المقاصد الدالة للتعبير الرمزي في العمل الفني، والذي يُسهم في إيقاظ وعي المتلقي، فيُعطي عامل النّوّق لديه ليعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، وينفتح النص أمامه، ليجد آفاقا من الإثارة والإبهار، والاستغراب والاستطراف، والمفاجأة والاستفزاز. تستطيع هذه المنظومات الرّمزية التي يسوقها الشاعر احتواء الظواهر الاجتماعية وما يرتبط بها من تمثّلات رمزية، وممارسات طقوسية، وتصوّرات اعتقادية. والتركيب الشعري باهتزازاته الموسيقية، وجرس أصواته وألفاظه التي تتضح بطاقات إيحائية وانطباعات حسية وحيوية، والتي تخلف مدّا وجزرا في نفسية الشاعر والمتلقي معا، وصوره الخلابّة وما تبثّه من أخيلة واسعة ومستعلية، وكذلك الفكر وما يحمله من عمق فلسفي وحقائق معقّدة وغامضة، تكاد كلها تكون عصيّة عن أيّ وصف محدّد.

2.2. الرمز وقيمة السياق التأويلية:

يتأسس تأويل الرمز قبل أي إجراء تفكيكي بإدراك حيثيات السياق أو المجال الذي جاء فيه النص على اختلاف النصوص. فالمرجع أو ما سيق النص له، هو المعاني التي تشكل علاقة معاني النسيج النصي بما فيه من التكيّف والتبادل². وبهذا يمنح السياق تفسير وجود الرمزية واندماجها في القصيدة خصوصا، أو الإبداع عموما. وهو ينهل من جانبيين؛ الأصل اللغوي الوارد منه، والمعطى الدلالي الجديد الذي اكتسبه من النص.

تعجز اللغة العادية في الكثير من الأحيان عن التعبير عما يعترى النفس من انفعالات غامضة. وفي هذه اللحظة الحرجة لميلاد القصيدة، يقتحم الرمز الأفق باعتباره المخرج الوحيد من ورطة الصمت المطبق؛ فلغة الرمز هي "المنفذ الذي يمكن به إبلاغ المعاني اللامحددة، الخيالية، والتي تتجاوز حدود العقل والحس المباشر"³. وهذا ما جعل اللجوء إلى الرمز أقوى في التعبير عما في مكنونات النفس من اللغة العادية⁴. وطبيعي أن تستدعي هذه الخيالية المتجاوزة للسطحية والعقل إلى التخيل والتخيل معاني أخرى سياقية في فهمها، وفك تشفيرها.

من هنا، نلاحظ أن الرمز يرسم مساره بمحاذاة اللغة العادية - ينطلق من الواقع-. وحينما يعجز عن خلق سيولة دلالية أكثر امتلاء وإشباعا، يقطعها ويبتكر لنفسه ملامح خاصة (تواصل إشاري) قادرة على احتواء المعاني الممكنة بإشارة خاطفة⁵. وهو نوع من طموح الشاعر في محاولة تطوير لغة الشعر نحو "أن ي اخترع فعلا شعريا يكون يوما قابلا لجميع المعاني... وأن يدون ما يعجز القلم عن وصفه"⁶.

ينأى الرمز الشعري عن الرمز الإشاري وعن العلامة، باعتبار أنهما مرتبطان بالتواضع والاتفاق ووضوح الدلالة تماما، كدلالة الدخان على النار، والعلم على هوية الوطن. إنه رمز يرتبط بالتفرد والابتكار؛ "فهو أحسن قالب ممكن للتعبير عن مجهول"⁷. وبهذا يحقق عنصر الإدهاش الذي يبحث عنه الشاعر، ويبرهن به على أن نصه المتشعب بالمبهم والمجهول والمطلق، سيحدث اهتزازات تبدأ مع بداية فعل القراءة، ويستمر في بسط الدلالات المتعددة، وينتهي إلى تفجير العلاقات الموجودة في المجاز اللغوي والمجاز العقلي، ويهب للنص خلودا من خلال سياقه الذي تتحاور معه مخيلة القارئ إلى دلالات ذات

مرجعيات مختلفة تحدّد لها الخلفية الفكرية والثقافية والفلسفية للمتلقي؛ باعتبار أن "الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص"⁸.

3.2. قصيدة الرّمز في الشّعر الجديد:

إنّ المتأمل في طبيعة الرمز يقف عند رؤية دلالية تهتم بمكانة الرمز داخل السيرة الخطابية الحديثة عامة، وفي الشعر العربي المعاصر خاصة؛ حتى لكأنّ الترميز في القصيدة المعاصرة هو غاية النظم ومقصده دون ما للشعر من قيم أخرى تصاحب الإبداع. ولربما كان لأجل أن تستفز المتلقي وتدعوه إلى اختراق عوالم تلك الرمزية. ومن هنا، فالرمز يتفادى التوصيل المباشر، ويدعو إلى عوالم أخرى قابلة للرؤية والتأويل، فكان من المحاكاة أن ينظم المعاصرون على منطلق أنّ الشعر يجب أن يكون إيحائياً، يكفي معه المبدع بالتلميح لا التصريح⁹.

وبذلك أصبح الرمز قصدياً، ومن خصائص الشعر المعاصر في تجاوز الواقع اللغوي الحاضر واستحضار للغائب المحتمل، يتخطّى كلّ ما هو مألوف، ويحمل "الدلالة على ما وراء المعنى الظاهر"¹⁰. ويتجاوز التشابه الحسي بين المعنيين إلى استعارة الرمز بما أوتي الشاعر من طاقات لغوية وتخيلية، وكأنه يتحدى القارئ. ولربما كان هذا نتيجة ظروف معينة تحيط بالقصيدة العربية كالسياسية منها والاستعمارية، وحتى الاجتماعية والثقافية، أين يميل المبدع إلى مخاطبة طائفة دون غيرها، ومتلق دون آخر، وما يتسنى له ذلك إلا عبر تشفير النصّ.

4.2. البعد الاستطقي للبنية الشعرية والبنية الرمزية:

تعدّ اللغة الشعرية لغة أخرى داخل الإطار العام للغة العادية؛ فهي تتجاوز غاياتها البراغماتية العملية في التواصل الإنساني إلى غايات جمالية. وتسعى بالخطاب الأدبي لتجاوز الوظيفة الإبلاغية إلى التأثير الفني¹¹. فالإيحاء من أهمّ خصائصها، ويكمن جوهره

في الرّمز الفنّي الذي يعمد بدوره إلى إفراغ الكلمات من محتواها القاموسي، ويحيلها على محتويات جديدة طارئة مستمدّة من السّياق الشعري، ولكن الكيفيّة الخاصة التي يتعامل بها الشاعر مع أدواته اللّغوية تتبدّى في طرائق مخصوصة، "تؤالف بين الكلمات، وتنظّمها للوصول إلى أنظمة وأنساق وتراكيب، وأبنية تفجّر الطاقة الشعرية في الواقع، وتخلق موازاة رمزية لهذا الواقع"¹².

إنّ ماهية الشعر الحقّة لا تقوم في التدقّق التلقائي للأحاسيس والعواطف، ولا في النشاط التخيلي، أو حتى في الشغف بالحق والجمال، فكلّ منها لا يؤسس الطبيعة النهائية والجوهرية التي تميّز الشعر. وقد رأى هايدجر (Martin Heidegger)، أنّ ماهية الشعر تقوم على أساس تسمية جميع الأشياء في كينونتها وعلى ما هي عليه، فيصبح الموجود عندئذ معروفا من حيث هو موجود¹³.

انطلاقاً من هذا التصرّو، يمكن القول: إنّ رمزية الشعر ترتبط بالصورة الشعرية، والصورة لا حدود لها في المفهوم النقدي الحديث، وقد تجاوزت التشكيلات البلاغية على التصور التقليدي لتشمل التجربة الشعورية للمبدع ونقل تجربته عن طريق الخيال والتشكيل¹⁴.

3. دراسة تحليلية للرمز في قصيدة الجدارية لمحمود درويش

1.3. موضوع قصيدة "الجدارية":

كان للتطورات الحاصلة في عالم النّص الشعري واسع الأثر في فتح آفاق لا تحدّها المقاييس المعيارية، وكان منطقياً أن تلفت انتباهي أشعار محمود درويش- الشاعر الرمز - فالكلمات في قاموسه لا تستقر واللغة عنده لا تهدأ، والنصوص تقف على تخوم مشتركة بين الواقع والرمز. وموضوع قصيدة "الجدارية" عالم يتحوّل بشفراته ثقافياً وحضارياً

بحثاً عن الهوية والانتماء، وعلى أساس جمالي قوامه البنية التأملية الرمزية التي تشعل شرارتها صور شعرية تتخذ من الجمع بين المتناقضات تشكيلاً فنياً لها، وهذا في مساحة تجمع جوانب فلسفية مختلفة: العبث، الألم، الموت، الحرب، العدو، الجدار، الخوف، العزلة، المعنى، السفر، المشي، الطريق، اللا- شيء، الحنين، التأمل، الحياة، الصمت، الحكمة، السخرية، فضلاً عن خواطر حول ذكريات المدن والأماكن، والأشخاص، وبعضاً من فلسفة السعادة والحب.

يطلّ محمود درويش في عتبات مجموعته الشعرية "الجدارية"¹⁵ على العالم بوجدٍ إنساني عميق، وشاعرية عذبة متدفقة. ورغم الشعور بوطأة العدم وحصاره الخانق خلف القضبان، جاء هذا الديوان بواحدة من أبهى مجموعات الشعرية المطوّلة قوامها قصيدة تدور حيثياتها حول تجربتين متداخلتين إحداها ذاتية، والأخرى موضوعية وطنية. ولا ريب أن هذا من عمق التزامه بالأم وطنه، ومن عميق شعوره بما يعايشه من محن؛ فالالتزام الثوري في الشعر والأدب والمسرح وكافة الفنون يلتقي في هدف واحد هو الدفاع عن حقوق الشعوب المستضعفة، والوقوف في وجه الظلم والطغيان ودعم القضايا التحررية¹⁶.

تمتّز ملحمة (الجدارية) بالأرض وباللغة، وبالمرأة وبالأسطورة، وانطلاقاً من تجربة حياتية كتبت في لحظة البين بين برزخ الحياة والموت، تخترق الجدارية هذا المتاه لتصل إلينا في مرحلة كان الشاعر فيها يعاني حالة مرضية قاسية بعد أن أجريت له عمليات جراحية كبرى جعلته يعيد حساباته في كثير من وقائع حياته، وخصوصاً النضالية منها، لاسيما أمام الاقتراب الفرضي من الموت.

أعلن الشاعر - في قصيدته هذه - عن اللغة والإبداع والرمز والفن، والثورة والأرض والخصب معاً؛ حيث تماهى فيها الرمز، وشارك في الانفعالات والسمات والاتجاهات؛ بل

تجاوز هذا أحيانا إلى حد التسلّط والاستلاب وحد الاستعلاء، لا نستطيع في هذه العجالة حصرها كلها، وإنما نكتفي بجانب الرمز فيها كونها الوصيد الذي يفتح على النص.

2.3. رمزية العنوان في قصيدة الجدارية:

أول ما نقف عنده في هذه الدراسة عنوان قصيدة "الجدارية"؛ فهو يمثل دلالة رمزية عن النص، يشكل مع القارئ حوارية تستدعي فك تشفيره، باعتباره المفتاح إلى عوالم النص العميقة في استنطاقها وتأويلها¹⁷. خاصة أنه مشحون ببنى لغوية شديدة الاختصار تمثل مفاتيح دلالية تؤدي وظيفة إيحائية¹⁸.

ينطبق هذا المعنى تماما مع العنوان الذي بين أيدينا؛ حيث يتكوّن من ثلاث دوال: الأولى هي كلمة جدارية، وتقابلها في اللغة الإنجليزِيّة كلمة (Mural)؛ وتشير إلى قطعة مرسومة أو ملصقة مباشرة على الجدار، تدمج العناصر المعمارية للفضاء المعين في الصورة¹⁹.

وإذا كان تشكيل الجداريات يختلف، فإن جدارية القصيدة هنا، ما هي إلا أداة للشاعر في رسم قناعاته الفكرية واختياراتها الفنيّة، وهي كما يصف الناقد خليل الشيخ: "إعادة تشكيل عناصر متباينة في إطار فني معقد، تعبر عما يشتعل في أعماقه"²⁰.

ترتبط دلالة الجدارية في التراث العربي بالأمور المقدسة؛ إذ كانت تعلق المعلقات والمذهبات والمسمطات على أستار الكعبة وجدارياتها لتكون محلّ انتباه كلّ الناس تمجيذا للشعر وللشعراء²¹. ويشغل لفظ (جدارية) على مستوى اللغة، فضاءً دلاليًا هامًا يتلخّص في محاورين:

- التصاویر على الجدار في تّمين وثبوت یجریان عبر التّاریخ للأعمال الخیرة في علاقات مجتمع معین أو أمة بعینها، هي شاهد عیان لذاكرة حية لهذا المجتمع للأجيال القادمة.

- عمل تشكيلي ضخم في الشارع العام وليس حصراً على قاعات معارض؛ فالجدارية مبذولة للجميع في إتقان رسالة الفن التشكيلي لمجتمع بعينه وليست بلوحة تعكس مذهب فنان معين في الرسم. وإن كان الفنان الذي رسمها له مذهبه في معارضه الخاصة.

تشتمل "الجدارية" كعنوان على رموز لا يستطيع القارئ أن يتجاوزها؛ ذلك أنها تحيل على مجموعة من الرموز التي تتحد في مرجعياتها، وتحوّل إلى جزيئات رامزة تلتفّ حوله، وتصبح جزءاً من مكونات بنية النص²². كما يتبيّن من خلال هذا التدرّج الدلالي لكلمة "جدارية"، أنها رمز يفتح على مجموعة من الصور الحافلة بعناصر حياة الشاعر وبالشخصيات، والصراع بين الثنائيات التي زخرت بها، لاسيما ثنائية الموت والحياة، وكأنه يعرض شريط حياته بكامله إزاء اقترابه من الموت. وقد تكون غايته في ذلك أن يعرض للعالم بأسره سيرته الذاتية بالارتكاز على محورين أساسيين:

- محور الحضور (درويش الحاضر دائماً في الذاكرة الجمعية)، فيحقّق عنصر التمجيد لذاته الشعاعية.

- محور الغياب (اقتراب الموت)، فيحقّق عنصر التخليد لذكراه. ويمكن أن ننحو به إلى قراءة ثالثة باعتباره رمزاً وعلامة وظّفاً للتعبير عن مشاعره بغية الوصول إلى هدفه المنشود، وهو عدم الخضوع للموت؛ فجداريته ترمز إلى الصلابة والصمود أمام هذا العدو القاهر.

3.3. وظائف الرمز في قصيدة "جدارية":

تتصل قيمة أي رمز في النص الأدبي بالوظيفة التي يؤديها، والتي تتراوح بين جمالية الإبداع وانفتاح التداول والتأويل. تنقل الجدارية عدة وظائف إلى القارئ بغية إشراكه في عالم التلقي، نستند فيها إلى ما حدّده رومان ياكسون.

أ- الوظيفة المرجعية السياقية:

تتمحور الوظيفة المرجعية أو السياقية هنا لمجمل معنى القصيدة على عالم الصراع بين الموت والحياة، والأرض والحرية، والفلسفة الذاتية لمعنى الوجود. لذلك رسمت معنى الإصرار والمجابهة. يقول الشاعر:

هزمتك يا موتُ الفنونُ جميعُها

هزمتك يا موتُ الأغاني في بلاد

الرافدين، مَسَلَّةُ المصريِّ، مقبرةُ الفراعنة²³.

تلخص الأبيات الثلاثة الموضوع العام الذي يختلج نفس الشاعر، والذي جاءت لأجله القصيدة، وسيقت معانيها ودلالاتها ورمزيتها له. فالصراع يتجسد في رمزية الموت والفنون، وهنا تتضح المواجهة وروح التحدي؛ فأن يشعر الشاعر بالفن، وينسج ناظما الفن وهو في دركات من التعب والموت، وسلب الفكر والحرية والحياة، ومقاومة المرض بين جانبيه النفسي والجسدي، فتلك هي الجدارية التي تظلّ خالدة بعيدا عما يمثله الجسد من وجود بيولوجي، لذلك جمع بين رمزية الموت والأغاني، وذكر الفراعنة وتحنيط الجسد ليبقى على وهم الحياة، وليس الحياة إلا مقاومة لما يناقضها وينافياها من آلام وقسوة.

ب- الوظيفة الانفعالية التأثيرية:

تعبّر هذه الوظيفة (الانفعالية) من مجموع ما تؤديه اللغة والرمز من وظائف داخل الخطابات الفنية منها وغيرها عن مدى إثارة النص لمواقف معينة تجاه مضمونه. وهنا تحضر هذه الوظيفة الرمزية في وصف المواقف المحمودة أو المذمومة في حياة الشاعر خاصة أو الآخرين عموما، لذلك يحاول درويش من خلال استثمار الرمز تحريك انفعالاتنا، وتمرير رسالة يكون لها بالغ الأثر في نفسية القارئ المتلقي، خاصة عندما يدخل في عملية حوارية مع الموت التي تبرز موقفه:

(...) ولا تَضَعُوا

على قبري البنفسج، فَهَوَ

زَهْرُ الْمُحْبَطِينَ يُذَكِّرُ الموتى بموتِ

الْحُبِّ قبل أوانه²⁴.

يثير الشاعر انفعالا غريبا في نفس المتلقي يرسم به جداريتيه بين الحياة والموت. وكأنّ للحياة بعد الموت اختيارات للميت، وهي في الحقيقة نهاية اختيارات الأحياء على الأرض قبل الموت حينما تسلبهم الحياة معنى الحب. أراد الشاعر بهذا أن يثير انفعالنا أن زهور البنفسج رغم جمالها لكنها لا معنى لها حين يضمحل الأمل.

يتجلى هنا موقفا عاطفيا من رمزية بعض الكلمات المتناقضة؛ قبري، البنفسج، زهر، المحبطين، الموتى، الحب، وطبعاً هذا التشابك بين المعاني من خلال رمزية كل كلمة بين الأمل والأمل تثير انفعالات كبيرة لدى المتلقي، وقد جعلت من القصيدة ذات بعد فلسفي وفكري عميق.

كما يظهر حضور هذه الخاصية الفنية على مستوى القصيدة كذلك من خلال محاولة الشاعر استقطاب انتباه القارئ وإثارة بديهته. يقول:

سأصير يوماً ما أريد

سأصير يوماً فكرة، لا سيف يحملها

إلى أرض اليباب ولا كتاب...²⁵.

ورد الرمز هنا مؤدياً وظيفة تأثيرية لدفعه نحو المواجهة والتحدّي، خاصة أن الشاعر يرمز إلى المصير. ولا شك أن الإنسان بفطرته ينفر من ذكر المصير والنهاية، ويريد الخلود والبقاء، ويقاوم في سبيل هذا الوهم الذي يحوله إلى صراع، كما حول درويش إلى جدلية

صراع المصير. ويكمن الرمز في ثنائية سآصير يوما فكرة دلالة على الانتهاء، وما أريد دلالة على إرادة الحياة من جديد.

ج- الوظيفة التآواصلية الإبلاغية:

تتأسس هذه الوظيفة على الرسالة التي يسعى الشاعر إبصالها، والتي هي أساس الحلقة التآواصلية، فهي موضوع النص أو القصيدة. وهي تحمل الأفكار والقناعات عبر دلالات الأطراف المشاركة فيها²⁶. يهدف درويش من قصيدته نقل تجربته النفسية والشعورية وهو يواجه المرض، ويسعى للحياة؛ حيث لا يكون هذا الإبلاغ من خلال القصيدة بنقلها جافة من الرمزية والإبداع والتخييل. يقول:

هذا الهواء الرطب لي

هذا الرصيف وما عليه

من خطاي وسائلي لي²⁷.

يفصح المقطع الموجز بالأبيات عن ملكة الشاعر في إثبات الخطاب الإبلاغي حين يستخدم ضمير الملكية "لي"، ومعناه كلّ ما القصيدة يحكي ما أعيشه وما عشته. وقد اتّصفت بالذاتية إلى أبعد الحدّ، فما يؤكد هذه الصلة بين الرسالة والشعرية، هو ما تتميز القصيدة والأغنية والأدب الفلسطيني عامة بأنّها "متعددة الموضوعات لها إحياءاتها المختلفة التي لا تفهم معانيها إلا الشعوب التي ذاقت مرارة الاحتلال"²⁸. على هذا التآويل النقدي، نجد أحيانا الذات المتكلمة في القصيدة ساكنة، وأحيانا منفصلة مضطربة، وهي لذات الشاعر دون غيره. غير أن درويش لا يمثل إلا نفسه، بقدر ما شعره تعبيرا وإبلاغا عن كلّ فلسطيني وكلّ عربي؛ بل أحيانا كلّ إنسان أراد أن يلج مشاق الحياة بفنه وإبداعه وترميذه.

يمكن القول عموماً، أنّ تلّكم الوظائف لا يكون لها صدى، ولا يمكن الكشف عن مكنوناتها إلا من خلال العودة إلى النص، وفهم محتوياته واستيعاب حيثياته. فالرمز في "الجدارية" بقدر ما مثّل علامات لغوية ضمن عوالم النص، بقدر ما منح جمالية من إعادة نتاج التفسير والتأويل والقراءة المعمّقة لذات وإبداع شاعر ليس بالواضح والمصرّح. وقد منح هذا الرمز على اختلاف وظائفه القصيدة هوية وشكلاً، ففسح له التعبير عن مواقفه من الحياة.

4. خاتمة:

ما نخلص إليه في النهاية، إنّ الرمز في نسيج القصيدة يسهم في بناء المعنى، فينظم تلك العناصر والثنائيات المتنافرة التي توشك أن توقع القصيدة في الإبهام والغموض، ومن ثمّ يغلق الرمز على نفسه، ويستحيل إحالته إلى مرجعية دلالية فتؤول القصيدة إلى رؤيا ضبابية. ونخلص كذلك أن التشكيل الجمالي لهذه الأداة الفنيّة، يلج عتبات القصيدة بأسلوب خاص يستخدم لغة تصويرية، يتماهى فيها الرمز ويذوب، ويرتفع بها إلى جوّ روحي يمنحها جمالية ورحابة، كما يعطي لكل حدثٍ فيها وقتاً؛ فللولادة وقت، وللصمت وقت، وللنطق وقت، وللحرب وقت، وللصلح وقت، وللوقت وقت. وجميع الأحداث بها تسير بنسق مضمّر متواري خلف آخر معلن مصرّح به، يحتاج إلى جهد فكري، وإلى جملة من المعارف والتقنيات لفك رموزها، والتي منها:

- أن يربط المعنى بما سبقه وبما بعده، أو بالسياق عموماً.
- أن يعلم القرائن التي يمكن أن تمكنه من جمع الرموز من خلال سياقها.
- يربط الشاعر الواقع برموز تقتن مع بعضها، ويوظّف المقارنة بين الرموز حتى يكتشف المعنى العام المراد.

- أن يكون الناقد للرمزية مزوداً معرفياً بثقافة دينية وصوفية وأسطورية وتاريخية شاملة تؤهله لفهم الرمز.

- أن يكون صاحب ذوق بياني، ذواقاً لجمالية الشعر وجمالية رمزة.

5. الهوامش والإحالات:

- 1- مارة كحلي، الموضوع الجمالي في ضوء المنهج الفينومينولوجي - مقارنة جمالية في نماذج تجريدية عند الفنان محمد خدة، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص9.
- 2- ينظر: حسن عبد عودة حميدي الخاقاني، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه، إشراف علي كاظم أسد، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، 2006، ص12-13.
- 3- نعيم اليافي، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1989، ص279.
- 4- ر. م. ألبيريس، الاتجاهات الأدبية الحديثة، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات عويدات، 1983، بيروت، ط3، ص151.
- 5- جان كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم: أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ص43.
- 6- فيليب فان تيغم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ط1، ص275.
- 7- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، 1987، ط2، ص203.
- 8- عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، 1989، ط1، ص198.
- 9- فيليب فان تيغم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ص281.
- 10- إحسان عباس، فن الشعر، دار صادر، بيروت، دت، ط1، ص200.
- 11- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1982، ط2، ص36.
- 12- مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1987، ط1، ص89.

- 13- عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ط1، ص108.
- 14- لريك حورية، الصورة الشعرية وتشكيلاتها الفنية في الخطاب الشعري العربي المعاصر، مجلة النص، جامعة الجيلالي اليايس سيدي بلعباس، الجزائر، مج12، ع1، 2025، ص598.
- 15- محمود درويش، الجدارية"، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان، ط2، 2000.
- 16- بن عزوزي عبد الله، فلسفة الالتزام الثوري في مسرحية فلسطين مغدورة للكاتب ياسين، مجلة النص، جامعة الجيلالي اليايس سيدي بلعباس، الجزائر، مج10، ع1، 2023، ص87.
- 17- ينظر: جميل الحمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج25، ع3، 1997، ص9.
- 18- نجم مفيد، شعرية العنوان في الشعر السوري المعاصر، مجلة نزوى الأدبية، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، الأردن، ع57، ص01.
- 19- ينظر: بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، لبنان، 1986، ص379.
- 20- الشيخ خليل الشيخ، جدارية محمود درويش بين التحرير الذات ووعي التحرر منها، مجلة نزوى الأدبية، الأردن، ع25، 2001، ص1.
- 21- ينظر، العمراوي أحمد العمراوي، دراسات في الشعر الحديث، دار الأمان للطباعة والنشر، 2000، الرباط، ط1، ص259.
- 22- ينظر: محمد كمال صدقي، معجم المصطلحات الأثرية، السعودية، منشورات جامعة الملك سعود، 1989، ص153-405.
- 23- محمد درويش، الأعمال الجديدة، رياض الريس للكتب والنشر، الأردن، ط2، 2000، ص486، 487.
- 24- محمود درويش، المصدر نفسه، ص482.
- 25- محمود درويش، المصدر نفسه، ص444، 445.
- 26- جميل الحمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص101.

27- المرجع نفسه، ص533.

28- بدير محمد، محطات فنية في مساق الأغنية الثورية رؤية في نماذج جزائرية فلسطينية، مجلة النص، جامعة الجيلالي الياصب سیدی بلعباس، الجزائر، مج11، ع2، 2023، ص112.

6. قائمة المصادر والمراجع:

أ- الكتب:

- 1- محمود درويش، الجدارية، بيروت لبنان، رياض الرئيس للكتب والنشر، 2000، ط2. (مدونة الدراسة).
- 2- محمد درويش، الأعمال الجديدة، رياض الرئيس للكتب والنشر، الأردن، 2000، ط2.
- 3- إحسان عباس، فن الشعر، دار صادر، بيروت، دت، ط1.
- 4- بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، لبنان، 1986.
- 5- عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ط1.
- 6- عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، 1989، ط1.
- 7- العمراوي أحمد العمراوي، الشعر المحمود - قراءة في جدارية محمود درويش، المغرب، بحث منشور، 2000.
- 8- مارة كحلي، الموضوع الجمالي في ضوء المنهج الفينومينولوجي - مقارنة جمالية في نماذج تجريدية عند الفنان محمد خدة، دار ميم للنشر، الجزائر، 2013، ط1.
- 9- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، 1987، ط2.
- 10- محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000.
- 11- محمد كمال صدقي، معجم المصطلحات الأثرية، منشورات جامعة الملك سعود، السعودية، 1989.
- 12- مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987، ط1.

13- نعيم اليافي، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1989.

14- جان كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة.

15- ر. م. ألبيريس، الاتجاهات الأدبية الحديثة، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ط.3

16- فيليب فان تيغم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1983.

ب- الدوريات:

1- بدير محمد، محطات فنية في مساق الأغنية الثورية رؤية في نماذج جزائرية فلسطينية، مجلة النص، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، الجزائر، مج11، ع2، 2023، ص207- 224.

2- بن عزوزي عبد الله، فلسفة الالتزام الثوري في مسرحية فلسطين مغدورة للكاتب ياسين، مجلة النص، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، الجزائر، مج10، ع1، 2023، ص82- 100.

3- جميل الحمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج25، ع3، 1997.

4- الشيخ خليل الشيخ، جدارية محمود درويش بين التحرير الذات ووعي التحرر منها، مجلة نزوى الأدبية، الأردن، ع25، 2001.

5- لريك حورية، الصورة الشعرية وتشكيلاتها الفنية في الخطاب الشعري العربي المعاصر، مجلة النص، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، الجزائر، مج12، ع1، 2025، ص596- 609.

6- نجم مفيد، شعرية العنوان في الشعر السوري المعاصر، مجلة نزوى الأدبية، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، الأردن، ع57.

ج- الرسائل الجامعية:

1- حسن عبد عودة حميدي الخاقاني، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، 2006.